هذا وصف فريق آخر من الذين يقابلون الأمر بالتقوى والإنذار بالساعة مقابلة غير المطمئن بصدق دعوة الإسلام ولا المعرض عنها إعراضا تاما ولكنهم يضعون أنفسهم في معرض الموازنة بين دينهم القديم ودين الإسلام . فهم يقبلون دعوة الإسلام ويدخلون في عداد متبعيه ويرقبون ما ينتابهم بعد الدخول في الإسلام فإن أصابهم الخير عقب ذلك علموا أن دينهم القديم ليس بحق وأن آلهتهم لا تقدر على شيء لأنها لو قدرت لانتقمت منهم على نبذ عبادتها وظنوا أن الإسلام حق وإن أصابهم سر من شرور الدنيا العارضة في الحياة المسببة عن أسباب عادية سخطوا على الإسلام وانخلعوا عنه . وتوهموا أن آلهتهم أصابتهم بسوء غضبا من مفارقتهم عبادتها كما حكي ا عن عاد إذ قالوا لرسولهم (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) .

فالعبادة في قوله تعالى (من يعبد ا على حرف) مراد بها عبادة ا وحده بدليل قوله تعالى (يدعوا من دون ا ما لا يضره ولا ينفعه) .

الناس ومن) قوله في عباس ابن عن البخاري صحيح ففي بالمدينة نزلت الآية أن والظاهر A E من يعبد ا على حرف) قال : كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال : هذا دين صالح وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال : هذا دين سوء .

وفي رواية الحسن : أنها نزلت في المنافقين يعني المنافقين من الذين كانوا مشركين مثل : عبد ا بن أبي بن سلول . وهذا بعيد لأن أولئك كانوا مبطنين الكفر فلا ينطبق عليهم قوله (فإن أصابه خير اطمأن به) . وممن يصلح مثالا لهذا الفريق العرنيون الذين أسلموا وهاجروا فاجتووا المدينة . فأمرهم النبي A بان يلحقوا براعي إبل الصدقة خارج المدينة فيشربوا من ألبانها وأبوالها حتى يصحوا فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الذود وفروا . فألحق بهم النبي A الطلب في أثرهم حتى لحقوا بهم فأمر بهم فقتلوا .

وفي حديث الموطأ : أن أعرابيا أسلم وبايع النبي A فأصابه وعك بالمدينة فجاء إلى النبي تنفي كالكير المدينة " : A النبي فقال المدينة من فخرج يقيله أن فأبى بيعته يستقيله A خبثها وينصع طيبها " فجعله خبثا لأنه لم يكن مؤمنا ثابتا . وذكر الفخر عن مقاتل أن نفرا من أسد وغطفان قالوا : تخاف أن لا ينصر ا محمدا فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميروننا فنزل فيهم قوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره ا) الآيات .

وعن الضحاك : أن الآية نزلت في المؤلفة قلوبهم منهم : عيينة ابن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس قالوا : ندخل في دين محمد فإن أصبنا خيرا عرفنا أنه حق . وإن أصبنا غير ذلك عرفنا أنه باطل . وهذا كله ناشئ عن الجهل وتخليط الأسباب الدنيوية بالأسباب

الأخروية وجعل المقارنات الاتفاقية كالمعلومات اللزومية . وهذا أصل كبير من أصول الضلالة في أمور الدين وأمور الدنيا . ولنعم المعبر عن ذلك قوله تعالى (خسر الدنيا والآخرة) إذ لا يهتدي إلى تطلب المسببات من أسبابها .

وحرف الشيء طرفه وجانبه سواء كان مرتفعا كحرف الجبل والوادي أم كان مستويا كحرف الطريق . ويطلق الحرف على طرف الجيش . ويجمع على طرف بوزن عنب قال في القاموس : ولا نظير له سوى طل وطلل .

وقوله تعالى (يعبد ا على حرف) تمثيل لحال المتردد في عمله يريد تجربة عاقبته بحال من يمشي على حرف جبل أو حرف واد فهو متهيئ لأن يزل عنه إلى أسفله فينقلب أي ينكب .

ومعنى اطمأن : استقر وسكن في مكانه . ومصدره الاطمئنان واسم المصدر الطمأنينة . وتقدم في قوله تعالى - ولكن ليطمئن قلبي) في سورة البقرة .

والمعنى : استمر على التوحيد فرحا بالخير الذي أصابه . واستقرار مثل هذا على الإيمان يصيره مؤمنا إذا زال عنه التردد وحال هؤلاء قريب من حال المؤلفة قلوبهم .

والانقلاب : مطاوع قلبه إذا كبه أي ألقاه على عكس ما كان عليه بأن جعل ما كان أعلاه أسلفه كما يقلب القالب " بفتح اللام " . فالانقلاب مستعمل في حقيقته والكلام تمثيل . وتفسيرنا الانقلاب هنا بهذا المعنى هو المناسب لقوله (على وجهه) أي سقط وانكب عليه كقول امرئ القيس : .

" يكب على الأذقان دوح الكنهبل